

جون راولز... نحو عدالة كونية بين الشعوب

John Rawls... toward universal justice among peoples

بعلي إلهام²

BAALI Ilhem

بورنان مصطفى¹*

BOURANANE Moustapha

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، moustaphabouranane@gmail.com

² جامعة محمد بوضياف المسيلة ilhembraali@gmail.com

تاريخ النشر:

2023/07/06

تاريخ القبول:

2023/05/22

تاريخ الاستلام:

2023/04/30

- الملخص:

إن الحياة الإنسانية فضائل أخلاقية وعليه فهي لا تستقيم إلا بتلك الفضائل الأخلاقية التي تضمن للإنسان حياة كريمة، حياة جوهرها وروحها الأمن النفسي والأمن المادي وحفظ كرامة الإنسان وتسهيل تمتعه بحقوقه وأدائه لواجباته اتجاه نفسه وغيره ووطنه. إن من أهم الفضائل التي ينشدها الإنسان وتستقيم الحياة الإنسانية بها فضيلة العدالة التي هي موضوع بحثنا هذا، والتي ارتبطت باسم الفيلسوف الأمريكي جون رولز الذي حاول تجسيدها داخل المجتمع الأمريكي وتعميمها على مجتمع الشعوب أي نقلها إلى الكونية والعالمية، وعليه فقد جاءت ورقتنا البحثية هذه محاولة فك شفرة مفهوم العدالة عند جون رولز الذي شكل مفهومه لكي يبحث تلك الفضيلة التي تزرع الاستقامة التي تنشدها الحياة الإنسانية داخل المجتمعات الليبرالية أولا ثم المجتمع العالمي ثانيا وأخيرا. الكلمات المفتاحية: جون راولز، قانون الشعوب، الحرب العادلة، قاعدة التسامح.

Abstract: Human life is moral virtues, and therefore it is not upright except with those moral virtues that guarantee a decent life for a person, a life whose essence and spirit are psychological and material security, preserving human dignity and facilitating his enjoyment of his rights and the performance of his duties towards himself, others and his country.

*- المؤلف المرسل

One of the most important virtues that man seeks and uprights human life is the virtue of justice, which is the subject of our research, and which was associated with the name of the American philosopher John Rawls, who tried to embody it within American society and circulate it to the community of peoples, that is, transfer it to the .universal and global

Accordingly, our research paper came as an attempt to decipher the concept of justice of John Rawls, who formed his concept in order to discuss that virtue that cultivates the integrity sought by human life within liberal societies first, and then the global community second .and last

Keywords: John Rawls, peoples' law, just war, tolerance rule.

1- مقدمة:

إن موضوعا كموضوع العدالة دائما ما شد إليه اهتماما كبيرا داخل الساحة الفكرية والفلسفية والقانونية لارتباطه المباشر بالإنسان ووجوده وحقوقه وحرياته فبغيا بالعدالة قد تغيب كليا الحقوق والحرريات وحتى الوجود الإنساني وهذا ما يثبته الواقع في الدول التي تشهد حالة لا عدالة، واقع نعيشه اليوم في دول عديدة لهذا تبرز أهمية لدراسة تنشذ زرع العدالة بين الشعوب تحت لواء قانون عام، وللوصول لهذا ربطنا بحثنا بفيلسوف ارتبط اسمه بالعدالة وقد لقب بفيلسوف العدالة وهو الفيلسوف الأمريكي "جون راولز" الذي رافع لعدالة بين الشعوب تضمن السلام والتوافق بين الشعوب وتضمن مجتمعا للشعوب جوه العدالة وهو الذي انتقل من معضلة العدالة داخل مجتمع بلاده ليخرجها إلى مجتمع الشعوب، وعليه جاءت إشكالتنا كالتالي: كيف السبيل للوصول إلى عدالة كونية بين الشعوب؟ أو بعبارة أخرى ما هو القانون الذي يضمن لنا جوا عادلا بين الشعوب؟

إن إشكالية كهذه ترمي أمامنا مجموعة من الفرضيات منها: ما هو هذا القانون؟ وهل سيقبل من طرف الشعوب أو السیادات التي تحركها البراغمية؟ هل ستتنازل الدول القوية للضعيفة؟

إذا تهدف هذه الدراسة لوضع ورقة بحثية تحمل تحلیلا لوجهة نظر مفكر غربي نحو الحل لبلوغ السلام والعدالة الكونية، كما وتبرز أن الصراع أزلي فلن يتنازل الحاقد عن حقه ولا الجشع عن جشعه مهما كانت القوانين مثالية صالحة.

2- مفهوم العدالة حسب جون رولز:

تعد نظرية العدالة عند جون رولز أهم محاولة فلسفية بعد النظريات التعاقدية في القرن السابع عشر والثامن عشر، لبناء قاعدة نظرية صلبة للممارسة الليبرالية وبيدأ جون رولز في هذا من خلال إقرار أن العدالة هي "الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية كما هي الحقيقة للأنظمة الفكرية، ومهما كانت النظرية أنيقة ومقتصدة لا بد من رفضها إذا كانت غير صادقة، كذلك الأمر بالنسبة إلى القوانين والمؤسسات مهما كانت كفوة وجيدة التشكيل لا بد من إصلاحيها وإبطالها إن كانت غير عادلة" (رولز، 2011، الصفحات 29-30) ومن هنا يجعل جون رولز العدالة هي الأساس الأول لكل المؤسسات الاجتماعية والشرط الجوهرى الذي لا يمكن تجاوزه والذي من خلالها يتقبل المؤسسات أو ترفض وتستبدل بمؤسسات أخرى عادلة فالعدالة هي أساس هيكل المؤسسات الاجتماعية لذا ينبغي أن تسير جميع الإجراءات التشريعية والسياسية والاقتصادية والفكرية وفق مبادئ العدالة.

وعليه فقد صمم جون رولز نظريته في العدالة لكي تطبق على المؤسسات الاجتماعية أي على البنية الأساسية والتي تعد المادة الأولية للعدالة كما تعد من بين الأفكار الأساسية في نظرية العدالة يقول جون رولز في هذا: "إن المادة الأولية للعدالة هي البنية الأساسية للمجتمع أو بدقة أكبر الطريقة التي توزع من خلالها المؤسسات الاجتماعية الرئيسية الحقوق والواجبات الأساسية وتحدد تقسيم المنافع الناتجة عن الشراكة الاجتماعية" (رولز، 2011، صفحة 34)، ويقصد هنا جون رولز بالمؤسسات الرئيسية الدستور السياسي والترتيبات الاقتصادية والاجتماعية التي من خلالها تحمى الحريات الأساسية للأفراد كحرية التفكير والملكية والرأي كما تحدد هذه المؤسسات الحقوق والواجبات للأفراد وتؤثر في إمكانية نجاح حياتهم وتحدد تقسيم المنافع بين الأفراد المنافع التي تنتج من خلال مشاريعهم المشتركة.

ويضيف جون رولز فكرة أساسية أخرى وهي فكرة المجتمع باعتباره نظاماً منصفاً من التعاون الاجتماعي، ويعد جون رولز هذه الفكرة أنها فكرة مركزية لتطوير مفهوم سياسي لعدالة نظام ديمقراطي، ويسوغ جون رولز هذه الفكرة بالترابط مع فكرتين أساسيتين وهما:

- فكرة المواطنين (أي أولئك المنخرطون في التعاون) باعتبارهم أشخاصاً أحراراً ومتساوين.
- فكرة مجتمع حسن التنظيم أي مجتمع منظم تنظيمياً فعالاً بواسطة مفهوم عام للعدالة (راولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 92).

ومن هنا نصل إلى القول بأن المجتمع يبني من طرف الأفراد الأحرار المتساوين أي الأفراد الذين يمتلكون قدرات وكفاءات أخلاقية حيث يرى جون راولز بضرورة أن يتميز كل أعضاء المجتمع بهذه الكفاءات والقدرات الأخلاقية هذه الأخيرة التي يحددها جون راولز في كفاءتين وهما:

- القدرة على الحس بالعدالة: وهي القدرة على الفهم والتطبيق والعمل انطلاقاً من مبادئ العدالة السياسية التي تعين الشروط المنصفة للتعاون الاجتماعي.
- القدرة على تحصيل مفهوم الخير: أي القدرة على حيازة مفهوم الخير ومراجعتة ومتابعته العقلانية وهذا المفهوم هو مجموعة منظمة من الغايات النهائية والمقاصد التي تعين مفهوم الشخص لما هو قيم في الحياة الإنسانية (راولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 112).

ومن خلال تحلي الأفراد بهذه الكفاءات الأخلاقية يصبحون جاهزون للانخراط في تعاون اجتماعي نافع للجميع حيث يتبادل الأفراد من خلال التعاون المنافع كما تجعلهم هذه الكفاءات الأخلاقية يسعون لاحترام شرط التعاون وشروط العدالة، وعليه نصل إلى المبدأ الذي يبحث جون راولز من خلاله تحقيق العدالة كإنصاف وتحقيق الرفاهية للجميع وهو مبدأ التعاون أي أنه يبحث على وضع مبدأ التعاون في مقابل الروح الفردية، لأن التعاون يوحد الصفوف ويقضي على الفردانية والتشردم والأنانية.

كما يرى جون راولز أن الأفراد يعتبرون متساوين فقط إذا كانوا يتمتعون بالقوى الأخلاقية الضرورية للانخراط في تعاون اجتماعي والمشاركة في المجتمع كمواطنين متساوين يقول جون راولز في هذا: "يعتبرون متساوين بمعنى أنهم يتمتعون، إلى الحد الأدنى الجوهري بالقوى الأخلاقية الضرورية للانخراط في تعاون اجتماعي لمدى حياة كاملة وللمشاركة في المجتمع كأشخاص متساوين" (راولز، 2009، صفحة 114).

ومن هنا نخلص حسب جون راولز أن أساس الوصول إلى المساواة بين الأفراد في المجتمع هو تمتع بالقوى والكفاءات الأخلاقية أي الحس بالعدالة والقدرة على تحصيل

مفهوم الخير ومن هنا تصبح لدى الأفراد القدرة على تكوين مفهوم الخير ومطالبة مؤسساتهم بالأخذ بمفاهيمهم عن الخير.

أما فيما يخص الفكرة الثانية المرافقة لفكرة الأشخاص الأحرار المتساوين وهي فكرة المجتمع جيد التنظيم والذي يعرفه جون رولز بكونه المجتمع الذي تم تصوره لضمان خير أفراد، كما أنه يتميز بكونه محكوماً يتصور عمومي للعدالة، ففي هذا المجتمع يحترم كل فرد مبادئ العدالة نفسها التي يعرف أن كل فرد آخر يحترمها بالقدر نفسه، كم أن المؤسسات الاجتماعية القائمة تحترم هذه المبادئ وتجسدها (أباه، 2014، صفحة 250). ويبحث جون رولز من خلال هذه الفكرة الوصول إلى ثلاثة أهداف وهي:

- الوصول إلى بناء مجتمع يقبل فيه كل فرد المفهوم السياسي للعدالة وبذلك يقبل مبادئ العدالة السياسية ذاتها وهو الأمر الذي تتضمنه فكرة المفهوم العام للعدالة.
- دفع البنية الأساسية للمجتمع أي المؤسسات الاجتماعية والسياسية الرئيسة إلى تحقيق مبادئ العدالة في المجتمع.
- أن يتوفر لدى الأفراد حساً فعالاً بالعدالة يمكنهم من أن يفهموا ويطبقوا مبادئ العدالة المفهومة من العموم (رولز، 2009، صفحة 97).

إذن ومنه نصل حسب جون رولز إلى الإقرار بأن المفهوم العام للعدالة في مجتمع جيد التنظيم يوفر وجهة نظر معترف بها ومشتركة يستطيع المواطنون بواسطتها أن يقاضوا مؤسساتهم السياسية والاجتماعية أو بعضهم البعض في كل ما يتعلق بمطالب حقهم السياسي (رولز، 2009، صفحة 97)، ومن خلال هذا المفهوم تصبح لدى المواطنين القدرة على مطالبة كل مؤسساتهم الاجتماعية بكافة حقوقه وحياتهم الأساسية وتطبيق العدالة والمساواة وبالتالي يسعى مفهوم العدالة عند جون رولز للوصول إلى توفير أساس فلسفي وأخلاقي مقبول للمؤسسات الاجتماعية وبالتالي محاولة التوفيق بين الحرية والمساواة.

3 - مفهوم قانون الشعوب

يعرفه جون رولز في كتابه قانون الشعوب بقوله: " أعني بقانون الشعوب تصورا سياسيا محددا عن الحق والعدالة يتفق مع مبادئ ومعايير القانون الدولي والممارسات الدولية " (راولز، 2007، صفحة 17)، أي أن جون رولز يبحث من خلال هذا سن قوانين

ومبادئ سياسية يبحث من خلالها تنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الشعوب أي تنظيم التعاملات والعلاقات بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية.

وعليه فإن قانون الشعوب لا يقتضي أن تكون جميع الشعوب ليبرالية ، بل يكفي أن تحترم الحد الأدنى من الليبراليات القديمة و المقصود هنا هو أن تحترم حرية التعبير و حرية العقيدة الدينية وهذا ما أكده جون راولز الذي يرى أن قانون الشعوب يؤمن بوجهة نظر سمحة حتى وإن لم تكن ليبرالية (راضي، 2013، صفحة 92)، أي أن قانون الشعوب لا يختص بشعب عن الآخر فهو مفتوح للجميع وهو يتشكل من الجميع يقول جون راولز: " هو القانون الذي تقره جنبا إلى جنب شعوب أخرى في ظروف مناسبة باعتبارها أنها شعوب عادلة وسمحة ولا تسترشد في سلوكها فقط بالسعي الحنيف أو العقلاني لتحقيق مصالحها " (راولز، 2007، صفحة 47) ،وهنا يؤكد جون راولز رأيه بأن قانون الشعوب قانون كوني قانون لجميع الشعوب شرط أن تكون هذه الشعوب شعوب عادلة او شعوب سمحة كما يشترط جون راولز فيها أن لا تسعى فقط لتحقيق مصالحها الخاصة دون الشعوب الأخرى وإنما العمل بمبادئ قانون الشعوب التي تمثل السبيل إلى العدالة بين الشعوب.

ويستعمل جون راولز كلمة شعوب بدل كلمة دول لأنه وجد في الشعوب سمات تختلف عن سمات الدول منها:

- أن الشعوب لا تحركها منافعها الخاصة بل تحركها مصالحها الأساسية بشكل معقول من دون المساس بمصالح الشعوب الأخرى، أي أن الشعوب تمتلك جانبا أخلاقيا بخلاف الدول التي دأبها الوحيد أن تكسب مصالحها حتى وإن كان على حساب الدول الأخرى.
- وأن الشعوب لا تمتلك السيادة حتى في التعامل مع مواطنيها مما يعني أن الدول الكبرى والمنظمات الدولية تمتلك كامل الحرية في التدخل في شؤونها. (راضي، 2013، صفحة 103).

فجون راولز يرى في " أن الدول هي الطرف الفاعل في العديد من نظريات السياسات الدولية حول أسباب الحرب والحفاظ على السلام وكثيرا ما ينظر إلى الدول على أنها عقلانية شديدة الحرص على قوتها وتعمل على تحقيق مصالحها الأساسية " (راولز، 2007، صفحة 47).

وقد سار جون رولز على نفس المنهج الذي استخدمه في إنشاء مبادئ العدالة، لكي يصل إلى وضع " مبادئ العدالة التي تحكم العلاقات بين الشعوب ويوسع نطاق فكرة العقد الاجتماعي مع مفهومي الوضع الأصلي وستار الجهالة للتوصل إلى مبادئ عامة يمكن بل ويجب أن تقبل من المجتمعات الليبرالية والمجتمعات السمحة على أنها المعيار لتنظيم العلاقات فيما بينها" (راولز، 2007، صفحة 11).

إن اختيار مبادئ العدالة في قانون الشعوب يكون باختيار مبادئ عدالة قانون الشعوب بالاتفاق عليه من قبل ممثلي كل من الشعوب السمحة والشعوب الليبرالية، ولكن الوضع الأصلي في قانون الشعوب يكون على ثلاثة مراحل:

- يكون الوضع الأصلي الأول داخل المجتمعات من قبل أفراد ذلك المجتمع الذين يختارون ممثلهم - أي أن كل شعب هنا يختار ممثليه الذين سيمثلونه أمام ممثلي الشعوب الأخرى-
- الوضع الأصلي الثاني يتعلق بالاتفاق على قانون الشعوب من قبل ممثلي الشعوب الليبرالية
- الوضع الأصلي الثالث يتفق فيه ممثلو الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة - المعقولة - على قانون الشعوب، كذلك يصاحب حجاب الجهالة الوضع الأصلي في كل مرحله والذي يؤدي إلى منع الممثلين من معرفة أحوال شعوبهم الخاصة ومن ثم تتحقق الحرية المتساوية لجميع الشعوب (غريب، 2009، صفحة 168).

ومن هنا يظهر لنا التشابه الكبير في منهج اختيار مبادئ العدالة سواء في المجتمع المحلي أو مجتمع الشعوب وهذا ما يصرح به جون رولز في قوله: " إن النهج الذي يتبع قبل اختيار مبادئ الحق والعدل والاتفاق على تلك المبادئ هو إلى حد ما نفس النهج سواء في حالة مجتمع محلي أو في حالة المجتمع الدولي " (راولز، 2007، صفحة 17).

إن جون رولز يرى أنه يمكن الوصول إلى تحقيق قانون الشعوب وتطبيقه على أرض الواقع والوصول إلى بناء مجتمع الشعوب مجتمع يضم نظام اجتماعي عام يضمن للشعوب حقوقها وكذلك يضمن المساواة بين الشعوب يقول جون رولز: " إن فكرة مجتمع الشعوب فكرة يوطوبية واقعية تصور نظاما اجتماعيا قابلا للتحقيق يكفل الحقوق والعدالة السياسية لجميع الشعوب الليبرالية والسمحة الأعضاء في مجتمع الشعوب " (راولز، 2007، صفحة 20).

وعليه إن قانون الشعوب، هو تصور موسع عن نظرية العدالة ينقلنا فيه جون رولز من المجتمع المحلي إلى مجتمع الشعوب، المجتمع الذي تشكله المجتمعات التي تسير

وفق مبادئ قانون الشعوب التي تشكل نظاما اجتماعيا يضمن المساواة بين الشعوب، ويضمن العدالة السياسية، إذن فقانون الشعوب هو تصور سياسي جاء به جون راولز للوصول إلى العدالة الكونية أي العدالة بين الشعوب وللوصول إلى هذا يرى جون راولز في ضرورة أن تتبع الشعوب مبادئه وأن تتعامل فيما بينها وفق آلياته فما هي مبادئ قانون الشعوب وما هي أنواع الشعوب حسب راولز وما هي الآليات التي تحدد العلاقات والتعاملات بين الشعوب؟

4 - مبادئ قانون الشعوب:

يرى جون راولز بأن مبادئ قانون الشعوب " ستفتح المجال لأشكال متعددة من الروابط التعاونية والاتحادات بين الشعوب " (راولز، 2007، صفحة 54)، فهو من خلال هذه المبادئ يبحث على غرس مبدأ التعاون بين الشعوب للخروج من فكرة الصراع ومن فكرة الأنانية التي كرستها الرأسمالية - الليبرالية - وكذلك لمحو الصدمات والخلافات التي تشهدها اليوم الساحة الدولية بين الدول حول كل مستلزمات الحياة.

لكن جون راولز يرى أن هذه المبادئ لن تصل بالشعوب إلى انشاء دولة عالمية وهنا يسر جون راولز على خطى كانط في كتابه المشهور مشروع السلام الدائم هذا الأخير الذي يعتقد أن قيام حكومة للعالم سيكون إما استبدادا عالميا أو فيما عدا ذلك ستنشأ إمبراطورية هشة تمزقها الصراعات الأهلية المتوالية، حيث تسعى النظم المتعددة والشعوب لاستعادة حريتها ونيل استقلالها السياسي (راولز، 2007، صفحة 54).

وفي المقابل من هذا يرى جون راولز في إمكانية أن تنشأ أنواع عديدة من التنظيمات تخضع لحكم قانون الشعوب ويعهد إليها تنظيم التعاون بين الشعوب كما تقوم هذه التنظيمات بواجبات محددة متفق عليها، ويرى جون راولز أن بعض هذه المنظمات ويقصد منها الأمم المتحدة لكن في التصور المثالي عنها - أثناء عودتها للمبادئ الجوهرية التي قامت عليها وكذلك عند قيامها بأهدافها التي جاءت من أجلها أي عند قيامها بواجبها ودورها المنزه عن كل ارتباطات سياسية بدولة ما - قد تكون لها السلطة نيابة عن مجتمع الشعوب الجيدة التنظيم عن إدانتها للمؤسسات غير العادلة (راولز، 2007، الصفحات 54-55).

وعليه فإن جون راولز يرى في أن قانون الشعوب سينتج عنه ظهور منظمات تسيّر وفق منظوره حيث تعمل هذه المنظمات على نشر العدالة ومحاربة كل مظاهر اللاعدل ومظاهر انتهاك حقوق الإنسان والشعوب وتعمل على بناء جو مجتمع الشعوب جو عادل

ينال فيه كل شعب حقوقه في تساوي تام وفي جو تقيده وتسيره مبادئ قانون الشعوب والتي هي ثمانية وجاءت كالتالي :

- إن الشعوب حرة ومستقلة ويجب أن تحترم حريتها واستقلالها.
 - يجب على الشعوب مراقبة العهود الدولية وأن يلتزموا باتفاقياتهم.
 - إن الشعوب متساوون وأنهم أطراف في الاتفاقيات التي تربطهم.
 - يجب أن تكون الشعوب ملتزمة بمبدأ عدم التدخل.
 - إن الشعوب لها حق الدفاع عن النفس، ولكن ليس لها حق التحريض على الحرب في غير الدفاع عن النفس.
 - إن الشعوب هي صاحبة حقوق الإنسان أي أنه على الشعوب احترام حقوق الإنسان.
 - إن على الشعوب أن تراعي بعض الحدود أثناء الحرب.
 - يجب على الشعوب مساعدة الشعوب المغلوب على أمرها والتي تعيش في ظروف تحررها من أن يكون لها نظام سياسي واجتماعي عادل أو معقول. (غريب، 2009، صفحة 155)
- وفيما يخص توضيح وشرح هذه المبادئ نجد أن جون رولز يعترف أن هذه المبادئ تتطلب الكثير من الشرح والتفسير وأن بعض هذه المبادئ لا حاجة له في مجتمع شعوب جيدة التنظيم ويعطينا جون رولز مثالا عن هذه المبادئ فمثلا المبدأ السابع الخاص بالسلوك في الحرب والمبدأ السادس حول حقوق الإنسان (راولز، 2007، الصفحات 55-56)، وهنا يقصد جون رولز أن الشعوب جيدة التنظيم تشهد حالة من الأمن والاستقرار لهذا فهي ليست في حاجة للمبدأ السابع، كما أنها تحترم حقوق الإنسان بفعل ما تمليه دساتيرها لهذا فهي ليست في حاجة للمبدأ السادس كذلك.
- أما فيما يخص المبدأ الرابع فنجد جون رولز يرى أنه يحتاج إلى ضوابط وقيود وفي الحالة العامة للدول الخارجة عن القانون، كما يرى أن هذا المبدأ للمجتمعات غير المنظمة التي تستوطن فيها الحروب وتعم فيها الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.
- وبصفة عامة يمكن القول في أن مبادئ قانون الشعوب تضمن المساواة للشعوب وكذلك تضمن حريتها واستقلالها كما أنها تعامل معاملة واحدة من طرف قانون الشعوب فإن أي شعب ليس له الحق في الاحتجاج على إدانة مجتمع الشعوب له.
- كما أن الأساس في هذه المبادئ هو غرس روح التعاون بين الشعوب لذا تضمن مبادئ قانون الشعوب مساعدة الشعوب المغلوب على أمرها والتي تعيش ظروف مزرية

ومعاناة، وعليه فإن هذه المبادئ تنشأ بالدرجة الأولى لتحقيق العدالة والمساواة بين الشعوب وبالتالي فهي تمثل القيود للوصول إلى العدالة بين الشعوب والتالي العدالة الكونية.

ولهذا نقول أن جون راولز ذكر هذه المبادئ الثمانية الأساسية لكي يحقق قانون الشعوب وظيفته وهي تحقيق المساواة والتعاون بين الشعوب (غريب، 2009، صفحة 155)، أي إنشاء مجتمع شعوب تسوده العدالة والأمن والاستقرار ويتمتع جميع أفرادها بجميع حقوقهم كما يتسم هذا المجتمع بالاحترام التام لكامل حقوق الإنسان.

5- أنواع الشعوب ومعايير قبولها في مجتمع الشعوب

أولاً: أنواع الشعوب:

يقسم جون راولز الشعوب في قانون الشعوب إلى خمسة أنواع وهي:

- المجتمعات الليبرالية الديمقراطية الدستورية العادلة التي اتفق فيها الأفراد الأحرار المتساوون على مبادئ العدالة في الوضع الأصلي وتحت حجاب الغفلة وأنها ليست على شكل واحد بل يوجد أنواع لها ولهذا يجب على ممثلي هذه الشعوب الاتفاق في الوضع الأصلي مرة ثانية على قانون الشعوب (غريب، 2009، صفحة 156).

- المجتمعات السمحة أو المجتمعات الهرمية التشاورية السمحة (راولز، 2007، صفحة 18)، وهي المجتمعات الدستورية غير الليبرالية التي تعتمد على مفاهيم تراثية خاصة بها حول العدالة كما أنها تحافظ على المشورة بجميع الجماعات الموجودة داخل المجتمع، وإن كانت تعتمد على مذهب ديني أو فلسفي شمولي ولكنها تراعي حقوق الإنسان إزاء جميع مواطنيها، كما أنها تتيح المشاركة السياسية للجميع حيث تشاور جميع ممثلي الشعب حتى أنها تترك المعارضة تبدي رأيها، كما أن هذه الشعوب غير عدوانية وليست لها أهداف توسعية على حساب غيرها من الشعوب هذه الشعوب يمكن الاتفاق معها حول قانون الشعوب (غريب، 2009، صفحة 156).

- المجتمعات الخارجة عن القانون (راولز، 2007، صفحة 18) وهي شعوب عدوانية لا تحترم قانون الشعوب لها أهداف توسعية لا تهتم سوى بمصالحها الخاصة.

- الشعوب والمجتمعات المغلوب عل أمرها، مجتمعات مثقلة بأحوال غير مواتية (راولز، 2007، صفحة 18)، وهي شعوب منكوبة غير عدوانية تراعي حقوق الإنسان.

- مجتمعات وشعوب السلطة المطلقة الخيرة أو المستبد العادل ويرى جون راولز في أن هذه المجتمعات تحترم حقوق الإنسان إلا أنها لا تعتبر مجتمعات جيدة التنظيم لأن أعضاء هذا

المجتمع محرومون من القيام بدور حقيقي في اتخاذ القرارات السياسية (راولز، 2007، صفحة 18).

ومن هنا يمكننا تحديد قسمين للشعوب والذي يدرجه جون رولز في نظريتين يندرج تحت كل نظرية انواع من الشعوب والنظريتين حسب جون رولز هما:

- النظرية المثالية : يناقش فيها جون رولز إمكانية توسيع فكرة التعاقد الاجتماعية العامة لتشمل مجتمع الشعوب الديمقراطية الليبرالية والشعوب السمحة (المصباحي، 2007، صفحة 157)، ومن هنا يظهر لنا أن القسم الأول يضم الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة وهي الشعوب المقبولة لأن تصبح جزءاً من مجتمع الشعوب .

- النظرية اللامثالية: ويندرج تحتها نوعين من الشعوب وهما الشعوب الخارجة عن القانون أي أنها لا تحترم قانون الشعوب والشعوب المقلب على أمرها (راولز، 2007، صفحة 19)، وهذه الشعوب تعيش حالة من الفوضى وحالة كبيرة من انتهاك لحقوق الإنسان لهذا يرى جون رولز في أن قانون الشعوب أمر ضروري للخروج من هذه الحالة.

وهذا التقسيم للشعوب حسب جون رولز هو محاولة منه لتحديد معالم قانون يحكم العلاقات بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية وبالتحديد الشعوب التي يطلق عليها جون رولز الشعوب المقبولة وهي الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة ويطلق عليها أيضاً جون رولز اسم الشعوب جيدة التنظيم، أما الأنواع الأخرى فيطلق عليها جون رولز اسم الشعوب غير جيدة التنظيم.

ثانياً: معايير وشروط قبول الشعوب في مجتمع الشعوب

ومن خلال قانون الشعوب يحاول جون رولز جمع الشعوب في مجتمع شعوب واحد من خلال بعث العلاقات بين الشعوب الليبرالية والشعوب غير الليبرالية فجون رولز يبحث من خلال هذا توسيع مجتمع الشعوب وفتحه أمام الشعوب غير الليبرالية لكن وفق شروط ومعايير معينة وهذه الشروط والمعايير حسب جون رولز هي:

- أن لا يكون للمجتمع أهداف عدوانية ويسلم أنه لا يستطيع أن يحقق غاياته المشروعة سوى عن طريق الدبلوماسية والتجارة وأي وسائل سلمية أخرى (راولز، 2007، صفحة 98).

وهنا يشترط جون رولز النوايا السلمية للشعوب فهو يرى في ضرورة أن تبتعد الشعوب عن كل مظاهر العدوان سواء الداخلي في مجتمعها المحلي بين أفراد والأقليات الموجودة داخل الشعب أو الخارجي مع الشعوب الأخرى.

كما يرى جون راولز هنا قد يتبع مجتمع ما مذهب ديني من المفترض أن يكون شاملاً يظهر تأثيره في الحكومة وسياساتها الاجتماعية إلا أنه يجب أن يحترم النظام السياسي والاجتماعي للمجتمعات الأخرى، كما يجب عليه دائماً أن براعي في كل أعماله التوسعية أن يكون له سلوك سلمي اتجاه جميع الشعوب ولا يبحث في بسط سيطرته على الشعوب الأخرى وطمس هوياتها وجعلها تمشي وفق مبادئه كما على هذا الشعب البحث دائماً على ارساء السلام والتسامح (راولز، 2007، صفحة 98).

ومن هنا نفهم أن جون راولز يضع السلم والابتعاد عن العدوان هو الشرط الأول الذي يجب على الشعوب التحلي به لكي تقبل داخل مجتمع الشعوب، حيث يجعلها تحلها بالسلام شعوب تراعي في كل اتصالاتها وتقاطعاتها مع الشعوب الأخرى الطرق السلمية وتبتعد عن العدوان ما يلم شمل الشعوب ولا يفرقها.

- يتكون المعيار الثاني من ثلاثة أجزاء:

- الجزء الأول: هو أن النظام القانوني المقبول لتلك الشعوب موازي مع الأفكار العامة والحسنة حول العدالة وحقوق الإنسان (غريب، 2009، صفحة 172).

وهنا يرى جون راولز أنه يجب أن يكون الهدف المشترك الذي ينشده هذا المجتمع هو تحقيق العدالة أي أن تصبح العدالة هي الخير العام الذي يهدف إلى تحقيقه المجتمع، كما يرى جون راولز أن هذا يضمن لجميع أعضاء الشعب الحقوق التي يطلق عليها الآن تسمية حقوق الإنسان والنظام الذي ينتهك هذه الحقوق لا يمكن أن ينشأ فيه تعاون اجتماعي وسياسي يجعله مجتمعا سمحا وكذلك المجتمع الذي يقر نظام الرق لا يمكن أن يكون فيه نظام قانوني سمح، لأن الأوامر هنا تفرض بالقوة على الرقيق أي لا محل فيه إلى فكرة التعاون الاجتماعي. (راولز، 2007، صفحة 98).

والوصول إلى تحقيق فكرة العدالة كخير عام حسب جون راولز يكون "وفق مبادئ التشاور التي تشكل النظم الأساسية لحماية حقوق وواجبات أعضاء الشعوب" (راولز، 2007، صفحة 105).

ومن بين حقوق الإنسان الحق في الحياة أي الحق في وسائل العيش والأمان والحق في الحرية والتحرر من العبودية والاختراقات والاحتلال القهري والحق في قدر كاف من حرية الضمير لضمان حرية الدين والفكر والحق في الملكية الشخصية والحق في المساواة بين الجميع وعدم التفرقة بين فئات وطبقات المجتمع ويرى جون راولز أن هذه الحقوق لا يمكن رفضها بأي سبب ولا يمكن القول فيها أنها خاصة بالشعوب الليبرالية أو الثقافة الغربية

لأن هذه الحقوق تنص عليها العدالة الطبيعية التي ترى أن الإنسان أشبه بأخيه الإنسان لذا يعاملون نفس المعاملة.

- الجزء الثاني: أن الواجبات القانونية والأخلاقية وكذلك الحقوق في تلك الشعوب تكون متساوية على جميع أفرادها (غريب، 2009، صفحة 172) ويرى هنا جون رولز أن النظام القانوني لشعب سمح يجب أن يكون نظاما يفرض واجبات و الزامات أخلاقية بنية صادقة على جميع الأشخاص داخل أراضي الشعب وكون أن هذا النظام ينظر إلى أفراد الشعب على أنهم عقلانيون ويتصفون بالسماحة وكذلك مسئولون وقادرون على أن يلعبوا دورا في الحياة الاجتماعية سيرون أن هذه الواجبات والالتزامات تتفق مع مه فكرة العدالة كخير عام ولن يرونها أوامر مفروضة عليهم بالقوة وهم أيضا يعرفون الصواب من الخطأ، وهنا نجد أن هذا النظام القانوني يتضمن مشروعا للتعاون الاقتصادي والسياسي السمع وهنا ينظر هذا المجتمع إلى أعضائه أنهم أعضاء متعاونون فيما بينهم وهذا ما يدفعهم للتصرف والعمل وفق ما تمليه واجباتهم والالتزامات الأخلاقية (راولز، 2007، صفحة 98).

ومن خلال هذا يبحث جون رولز على المجتمعات التي تحمل أنظمتها مشاريع للتعاون بين أفرادها وهو بهذا يبحث عن مجتمعات تبتعد عن النظام الذي يعتمد على الرق لأنه لا يحمل مشروعا للتعاون بين أفرادها فهناك ما يعرف بالعبد أو الرق الذي يعمل بلا حقوق والسيد الذي يجني الأرباح دون أن يتعاون مع الرق في انتاجها ويبحث جون رولز على الشعوب التي تكريس مشروع التعاون بين أفرادها لأن التعاون يغرس الوحدة بين أفراد الشعب ويبعدهم عن الصدام فيما بينهم من أجل الوصول إلى تحقيق المصالح كما يساعد التعاون على تكريس المبادئ الأخلاقية داخل المجتمعات وكذلك أن الشعب الذي يحمل نظامه مشروع للتعاون يكون لديه النية للتعاون مع غيره من الشعوب لأن هذا الشعب يلتزم بهذه المبادئ الأخلاقية مسبقا ولا يجد مانعا في ممارستها مع غيره.

- الجزء الثالث: هو أن يوجد اعتقاد مخلص وليس غير معقول لدى القضاة وسائر المسئولين الذين يتولون إدارة النظام القانوني (راولز، 2007، صفحة 99)، ومن هنا نفهم أنه على القضاة العمل بالقوانين التي تحقق العدالة كخير عام كما يجب عليهم الابتعاد على القوانين التي تعتمد على القوة لأنها تأتي بالتمرد وعليه إن رولز ينقأ العدالة إلى دائرة المؤسسات القانونية ويمثلها في القضاة الذين عليهم أن يكرسوا حقوق الإنسان ويحموها ويبتعدون على تكريس الانتهاكات تحت اسم القانون، لأن القانون يجلب التمرد إذا كان يحمل الظلم ويطبق بالقوة لهذا يجب علة القضاة العمل على تحقيق العدالة كخير عام

للوصول إلى المساواة بين جميع أفراد الشعب وكذلك لضمان تمتع كل ذي حق بحقه وكذلك أداء كل فرد لواجبه في جو مناسب شفاف عادل آمن .

كما أن تطبيق العدالة يغرس القيم الأخلاقية السامية ويغرس روح التعاون داخل الشعب ويجعله متوحد متماسك، ويركز جون راولز على المؤسسات القانونية لأنها هي التي تفك النزاعات وهي التي تبحث عن حل كل مشاكل الأفراد وكذلك تفك الصدامات لهذا يجب أن تعمل على بث العدالة، لكي يتماسك الشعب وإن حدث العكس فإن هذا إنذار لظهور الحروب الأهلية والأفات والانقسامات داخل الشعب.

ومن خلال ما سبق نفهم أن مجتمع الشعوب يقبل إضافة إلى الشعوب الليبرالية الشعوب غير الليبرالية، لكن منها الشعوب السمحة التي لديها تصور سياسي عام للعدالة كخير عام، كما يكون نظامها تشاوري، يعطي الحق للجميع في إبداء رأيه أي يكون أعضاؤه فاعلين لهم كلمة رأي كما يقبل هذا المجتمع مبادئ قانون الشعوب التي تلزم بها الشعوب الليبرالية.

ومن خلال هذا تظهر لنا كونية المشروع الرولزي ويظهر لنا بحثه في الوصول إلى العدالة الكونية وهذا من خلال فتحه المجال في مجتمع الشعوب لجميع الشعوب التي تتوافق مع المعايير التي وضعها جون راولز وهذه الشروط والمعايير وضعها جون راولز لكي يضمن تواجد شعوب تسعى إلى التعاون وإلى التعايش السلمي لا لغير ذلك ، كما أننا نفهم من خلال هذه المعايير أن جون راولز لا يرفض الشعوب لعرقياتها أو لدينها أو توجهاتها المذهبية فهذه الأخيرة لا تشكل عائقاً أمامه فهو يخاطب جميع الشعوب مهما كانت دياناتها لكن شرط أن تكون سمحة تشاورية تعترف بقانون الشعوب .

ويؤكد جون راولز موقفه هذا من خلال مثال يعطيه لنا عن شعب سمح تشاوري يسميه كازانستان وهو شعب إسلامي افتراضي وفيه يقول جون راولز: "كازانستان شعب هرمي سمح لا ينص النظام القانوني لكازانستان على الفصل بين الدين والدولة والإسلام هو الدين الغالب ولا يسمح لغير المسلمين أن يشغلوا المراكز العليا السياسية، في الوقت نفسه يوجد تسامح إزاء الديانات الأخرى " (راولز، 2007، الصفحات 108-109).

وعليه إن شعب كازانستان شعب هرمي سمح يحترم حقوق الإنسان، يضمن للأقليات الأخرى العيش بسلام وتسامح كما يضمن لها أداء طقوسها الدينية بحرية ويعطيها كامل حقوقها المدنية ويعامل جميع أفرادها بالمساواة ولا يوجد تفريق بينهم.

وهنا يمثل جون رولز للشعوب الهرمية السمحة بالشعوب الإسلامية فهي شعوب غير عدائية تراعي حقوق الإنسان، وخاصة حقوق غير المسلمين وأن المعارضة وحق إبداء الرأي موجود ومسموح به لغير المسلمين، كما إنه على الحاكم وضع آراء المعارضة في الحسبان والأخذ بها في صنع القرارات السياسية (غريب، 2009، صفحة 172).

ورغم أن غير المسلمين لا يمكنهم الوصول إلى المواقع السياسية السيادية في الشعوب الإسلامية إلا أن حقوقهم المدنية والاجتماعية محفوظة ويمكنهم المشاركة في المسائل المتعلقة بالمجتمع والدفاع عنه (غريب، 2009، صفحة 172).

ومع أن شعب كازانستان شعب افتراضي إلا أنه يمكن الوصول إليه يقول جون رولز: " رغم أن مجتمع كازانستان مجتمع افتراضي لا أعتقد أنه من غير المعقول أن يوجد وخاصة أن له سوابق في عالم الحقيقة والواقع ". (راولز، 2007، صفحة 111) ويقصد جون رولز هنا بالسوابق في عالم الحقيقة والواقع أن وضع شعب كازانستان يشبه وضع الدولة الإسلامية قبل قرون فمثلا تسامح الإمبراطورية العثمانية مع اليهود والمسيحيين ، بل وأكثر من ذلك دعوهم إلى العاصمة القسطنطينية ، و من خلال هذا يسن جون رولز ثلاث مبادئ في الدين وهي :أن جميع الأديان المعقولة مقبولة ويرى أن الاختلاف الديني مقبول لأن هذا حسبه هو إرادة الله ،ويرى أيضا أن مسألة العقاب حول الاعتقاد الخطأ مرجعه الله وحده كما يرى أنه على المجتمعات ذات الأديان المختلفة أن تحترم بعضها البعض ويرى أيضا أن الإيمان بالدين فطرة في البشر (راولز، 2007، صفحة 124).

وهنا يضع جون رولز يده على الجرح أو بالأحرى المشكل الذي يطرح العدوان والتصادم والتنافر والتفرقة بين الشعوب ألا وهو الدين أو المعتقد الذي يعتقده كل شعب فهناك شعوب لا تؤمن بفكرة الاختلاف الديني وترى أن دينها هو الصحيح وترى من يدين بغير دينها فهو العدو وهو الشر والآخر الذي يجب الابتعاد عنه ومعاداته وعدم القبول به، كما لا تؤمن بعض الشعوب بأن الله هو الذي يحاسب على الاعتقاد الخاطئ فهي تبدأ في خلق المشاكل والعقوبات وحتى الاعتداءات للشعوب التي لا تدين بدينها وبمعتقداتها.

وفي مجتمع الشعوب يسن جون رولز هذه المبادئ المتعلقة بالدين حيث يبعد كل المسؤولية التي تخص الدين عن البشر ويرجعها إلى الله وحده من خلال ارجاع مسألة الاختلاف الديني إلى الله وكذلك مسألة العقاب للخاطئين في الاعتقاد حيث يبعد المسؤولية عن كل البشر.

من خلال المبادئ التي سنّها جون رولز حول مشكلة الدين والاختلاف الديني يحاول رولز الخروج من الخلافات والتصادمات بين الشعوب حيث يشترط احترام الشعوب مختلفة الأديان لبعضها البعض وعليه أن أي شعب لا يحترم الشعب الآخر فهو غير مقبول في مجتمع الشعوب لأن جون رولز يبحث في مجتمع الشعوب جمع شعوب سمحة لها نية التعاون غير عدوانية تحترم نفسها وغيرها كما تقبل بالآخر المختلف في الثقافة والمعتقد وتعايش معه بسلام وتحترم حقوق الإنسان ومن هنا يبحث جون رولز على بث روح السلام والعدالة والتعاون وكل السمات الأخلاقية داخل مجتمع الشعوب لكي يشكل بنية متماسكة .

ومن هنا نصل إلى المعيارين اللذان يعتبران الأساس لدخول الشعوب إلى مجتمع الشعوب وهما:

- ضرورة احترام الشعوب لحقوق الإنسان داخل مجتمعاتها وخارجها .
- أن لا تكون هذه الشعوب عدائية في سياساتها الخارجية (غريب، 2009، صفحة 173).

ويصر جون رولز على هذين المعيارين لأن الأول حقوق الإنسان يعطي للإنسان كرامته وحقوقه في الحرية الملكية والتعبير وحرية الضمير والحفظ من القتل والتشريد والمجاعة والأمراض، كما تمنع هذه الحقوق التدخلات الخارجية العدوانية وتضمن استقلال الشعوب واستقلال مؤسساتها، في حين يضمن الثاني المعيار الأول كما يضمن سلامة ملكيات الشعوب ويضمن السلام والعدالة الكونية.

6-آليات وقواعد تعامل الشعوب

أولاً: آليات وقواعد تعامل الشعوب المقبولة

1 - قاعدة التسامح: ولكي يجمع جون رولز الشعوب مع بعضها البعض في مجتمع الشعوب ويقوي علاقاتها ببعضها البعض يضع جون رولز مجموعة من القواعد ومن بين القواعد التي وضعها جون رولز قاعدة التسامح والقبول والتي يعني بها جون رولز فك ونزع العقوبات المفروضة على الشعوب غير الليبرالية وقبولها كأعضاء في مجتمع الشعوب أعضاء لهم نفس الحقوق متساوين مع الشعوب الليبرالية يقول في هذا: "والتسامح لا يعني فقط الامتناع عن ممارسة العقوبات السياسية - عسكرية أو اقتصادية أو دبلوماسية - لحمل شعب من الشعوب على أن يغير سلوك حياته بل يعني التسامح أيضاً بقبول هذه المجتمعات غير الليبرالية كأعضاء مشاركين على قدم المساواة ولهم مكانة جيدة في مجتمع الشعوب" (راولز، 2007، صفحة 91).

يرى جون رولز أنه بعد الاتفاق في قانون الشعوب بين الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة قد تظهر شعوب ترى أن الشعوب السمحة لا يوجد ما يؤهلها للمشاركة في انشاء قانون الشعوب ولهذا يرى جون رولز بضرورة اثبات عكس هذه النظرة بوجود صفة في الشعوب الليبرالية العادلة وهذه الصفة هي التسامح، وهذه الصفة تجعلهم يكونون متسامحين مع الشعوب السمحة ولا يحاولون فرض ليبراليتهم على تلك الشعوب ولا يظنون أن الصيغة النهائية للعدالة المعقولة هي الصيغة الموجودة في مجتمعاتهم فقط (غريب، 2009، صفحة 171).

وتعد هذه القاعدة الحجر الأساس لقيام العلاقات بين الشعوب لأن تسامح الشعوب الليبرالية مع غيرها هو جوهر الخروج من النزاعات والصدامات بين الشعوب وتسامح الشعوب الليبرالية يعني الاعتراف بكيانه وبحقوقه وبفعاليته في مجتمع الشعوب. كما يرى جون رولز أن الحاجة للتسامح تكمن في قبول التعددية لأن حسبه الفرد الليبرالي يقيم الفرد غير الليبرالي انطلاقاً مما يراه هو كليبرالي مثلاً يحكم على السياسة من خلال التصور السياسي الليبرالي المعقول، وعندما يجدون أن تصورات الشعوب غير الليبرالية في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الأخلاقي أو الاجتماعي فإنهم يرون أنه من الصواب أن تخضع هذه المجتمعات إلى نوع من العقوبات. (راولز، 2007، صفحة 92).

ومنه نفهم أن سبب رفض الشعوب الليبرالية لغيرها من الشعوب هو راجع دائماً لمحاولتها جعل الشعوب ليبرالية أو أنها تخضع لعقوبات بسبب أن كل الشعوب التي لا تتماشى وفق التصور الليبرالي هي شعوب تخالف حقوق الإنسان وشعوب تستحق الخضوع للعقوبات وتفرض عليها عقوبات وقيود حتى تتبنى التصور الليبرالي، ولهذا يرى جون رولز بضرورة أن تتحلى الشعوب الليبرالية بقاعدة التسامح وأن تتقبل وجود الشعوب غير الليبرالية وتعترف بمشاركتها في مجتمع الشعوب.

2 - قاعدة المساعدة: كما يرى جون رولز بضرورة أن تتعاون الشعوب الليبرالية مع الشعوب الأخرى يقول: "على الشعوب الليبرالية أن تتعاون مع جميع الشعوب التي لها مكانة جيدة وأن تساعد هذه الشعوب" (راولز، 2007، صفحة 91).

ومن خلال هذا يأتي جون رولز بقاعدة أخرى تتعامل بها الشعوب فيما بينها وهي قاعدة التعاون والمساعدة فجون رولز يرى أنه على الشعوب الليبرالية بحكم ما تملكه من مؤهلات في جميع المجالات يجب أن تساعد الشعوب السمحة التي تشاركها مجتمع

الشعوب وتتعاون معها في انشاء مشاريع مشتركة وتساعدتها على زيادة تطورها كما تساعدتها على حماية حقوق الإنسان وإبقاء السلام بينها.

إن جون راولز يسير شيئا فشيئا لربط المجتمعات ببعضها البعض وإزالة كل الخلافات والتصادمات التي تشهدها الساحة الدولية فبعد أن رأى جون راولز أن الدين هو الذي يمثل العائق الأول أمام اتحاد الشعوب قام بسن مجموعة من المبادئ ليزيل هذا الخلاف بإرجاعه كل الأمور التي تخص الدين إلى الله ورأى في أن ما يهم في مجتمع الشعوب هو المجتمع كمجتمع مكون من أفراد دون الاهتمام بمرجعياتهم ومعتقداتهم المهم هو التزام هذه الشعوب بقوانين قانون الشعوب وكذلك تناسهم مع معايير الشعوب المقبولة في مجتمع الشعوب.

كما قام بسن مجموعة من القواعد التي يهدف من خلالها إلى دمج الشعوب في بعضها البعض وخلق روح التعايش بينها من خلال قاعدة التسامح التي تقر بأن تتقبل الشعوب الليبرالية وجود الشعوب السمحة كشعوب شريكة ومساوية لها في مجتمع الشعوب وبعد هذا يعطي جون راولز قاعدة أخرى وهي قاعدة التعاون والمساعدة فبعد القبول تدخل الشعوب في التعاون والمساعدة وهذا ما يقوي الشراكة بين الشعوب ويجعلها تأسس مشاريع ومؤسسات مشتركة فيما بينها، ومن خلال هذا يصل جون راولز إلى وضع المعايير التي تتعامل بها الشعوب الليبرالية مع الشعوب السمحة أي الشعوب المقبولة الشعوب جيدة التنظيم والتي تشكل مجتمع الشعوب والتي يدرجها راولز تحت ما يسمى بالنظرية المثالية.

وبالمقابل من هذا توجد الشعوب التي لا تستطيع أن تدخل في مجتمع الشعوب والتي يدرجها جون راولز تحت ما يسمى بالنظرية غير مثالية وهي الشعوب العدوانية والشعوب المغلوب على أمرها وهي شعوب غير جيدة التنظيم، وكون هذه الشعوب غير جيدة التنظيم لا تستطيع الدخول في قانون الشعوب فهي تشكل عائقا أمامه فهي تمثل حاجزا أمام قانون الشعوب ليجوز جميع الشعوب وعليه كيف يجب التعامل معها حسب جون راولز أو بصورة أخرى ما هي المعايير التي تعامل بها الشعوب جيدة التنظيم الشعوب غير جيدة التنظيم؟

يؤكد جون راولز أن الشعوب جيدة التنظيم تتميز بصفة جوهرية وأساسية وهي أنها ترغب في أن تعيش في عالم تقبل فيه جميع الشعوب وتتبع قانون الشعوب كممثل أعلى (راولز، 2007، صفحة 129)، فما هو السبيل إلى هذا يا جون راولز؟

ثانيا: آليات التعامل مع الشعوب غير المقبولة

وفي سعي جون رولز إلى تقديم الحل والسبيل والآلية للتعامل مع الشعوب غير جيدة التنظيم يقسم جون رولز هذه الشعوب إلى نوعين:

-يتعامل النوع الأول مع حالة عدم الإذعان أي مع الحالة التي ترفض فيها بعض نظم الحكم أن تلتزم باحترام قانون الشعوب، وتعتقد هذه الشعوب أن السبيل الوحيد لشن هو أن تحقق هذه الحروب المصالح العقلانية.

-يتعامل النوع الثاني مع الشعوب التي تعاني من ظروف غير مواتية حيث تمر بظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية تجعلها هذه الظروف غير قادرة على أن تكون شعوب جيدة التنظيم (راولز، 2007، صفحة 130).

ومن هنا يصف لنا جون رولز حالتين غير مرغوب فيهما في مجتمع الشعوب لأنهما تعيقانه وتمسان بكرامة الشعوب وحريتها ويلخص لنا رولز الحالتين حيث تتحدث الحالة الأولى عن الشعوب العدوانية التي تحاول الاعتداء على الشعوب الأخرى، أما الحالة الثانية تتحدث عن الشعوب المنكوبة التي تعاني مشاكل داخلية (غريب، 2009، صفحة 175)، وتعد كلتا الحالتين غير مثالية يجب التعامل معها ومحاولة كبحها والحد منها لأنها تهدد استقرار مجتمع الشعوب وتعيق اكتماله كما تحمل مشاكل كبيرة للبشر ولعل أهمها و أبرزها هو الانتهاك الكبير لحقوق الإنسان التي تصبح لا معنى لها عند اندلاع الحروب أو عند تدهور الأوضاع الصحية والمعيشية للشعوب.

1 - قاعدة الحرب العادلة : إن قانون الشعوب جاء لكي يضمن المساواة بين الشعوب كما جاء لكي يرسخ بعض المبادئ ولعل أهم مبدأ جاء من أجله هو حماية حقوق الإنسان وضمان تمتع كل إنسان بها لهذا جاء هذا القانون بالحلول لكل الحالات التي تعيق تشكلها ومن بينها الحالات التي ذكرناها سابقا حيث يعطي جون رولز لكل حالة حل وآلية للتعامل معها ففي حالة الشعوب العدوانية التي تبحث عن الحرب للاستيلاء على الشعوب الأخرى يرى جون رولز أن الحل في هذا يكون بالحرب العادلة، ويؤكد جون رولز على أنه للشعوب الليبرالية والشعوب السمحة الحق في الدفاع على النفس وهذا هو وأحد مبادئ قانون الشعوب، كما يرى أن الحروب التي تكون دفاعا عن النفس من قبل الشعوب الليبرالية والشعوب السمحة في حالة وقوع استيلاء عليها هي الحرب العادلة (غريب، 2009، صفحة 175).

ومن هنا نفهم أن جون رولز يقصد بالحرب العادلة الحرب التي تقوم دفاعاً عن النفس ولإيقاف الاعتداءات الخارجية من قبل الشعوب العدوانية، وكذلك لوقف انتهاك حقوق الإنسان وكذلك لوقف الحروب التي يكون الأساس فيها هو البحث عن المصالح العقلانية وهذه هي الحرب التي يرفضها جون رولز ويمنع منها أية دولة يقول: " ليس لأي دولة الحق في اللجوء إلى الحرب سعياً إلى تحقيق مصالحها العقلانية، لكن يعطي قانون الشعوب لجميع الشعوب جيدة التنظيم سواء الليبرالية أو السمحة وفي الحقيقة لأي مجتمع يطبق ويحترم قانون الشعوب الحق في الحرب دفاعاً عن النفس " (راولز، 2007، صفحة 131)، ومن هنا يبين جون رولز أن السبب الوحيد للحرب هو الدفاع عن النفس وكبح مظاهر انتهاك حقوق الإنسان كما يبين رفضه التام للحروب التي تكون تهدف إلى تحقيق المصالح العقلانية المتمثلة في البحث عن النفوذ والخيرات والثروات والمواد الطاقوية وللبحث عن القوة والسيطرة والهيمنة على الشعوب واستعبادها.

يرى جون رولز أنه لا يمكن التسامح مع الدول العدوانية لأنها عدائية وخطرة، كما أن الشعوب الأخرى تكون في مأمن لو تغير هذه الشعوب العدوانية أو أجبرت على التغير كما يشترط جون رولز على الشعوب جيدة التنظيم الاسترشاد بقانون الشعوب في مواجهتها للشعوب العدوانية ونظم الشعوب الخارجة عن القانون لكي يحدد لها - يقصد هنا رولز قانون الشعوب - الهدف الهدف الذي ينبغي أن تضعه في اعتبارها كما يحدد لها الوسائل التي يجوز لها أن تلجأ إليها و تلك التي يجب تجنبها. (راضي، 2013، صفحة 106).

ولكي يضمن جون رولز هذا ويضمن أن تكون الحرب عادلة وضع عدة مبادئ تقيد سلوك الحرب وهذه المبادئ هي:

- أن الغرض من الحرب العادلة التي تنشب من قبل الشعوب المقبولة أي الليبرالية والسمحة هو إيجاد صلح عادل ومستمر بين الشعوب وخاصة مع الشعب العدو الحالي للشعوب المقبولة.

- أن الشعوب المقبولة لا تحارب بعضها البعض بل تحارب الشعوب المعتدية التي أغراضها توسعية والتي تهدد الأمن والمؤسسات الحرة للشعوب المقبولة.

- في العمليات الحربية يجب على الشعوب المقبولة أن تميز وبحذر بين ثلاث فئات في العدو وهي: رجال السلطة والقياديون من الشعوب المعتدية وأفراد الجيش والمدنيون فالمدنيون وناشبو الحرب هم الفئة الأولى دون الثانية والثالثة ويقصد رولز هنا فئة رجال السلطة

والقياديون، ويؤكد هذا اعتقاد رولز بخيرية الإنسان والشعوب وتعاملها مع الفطرة والعدالة (غريب، 2009، صفحة 176).

-على الشعوب المقبولة أن تراعي حقوق الإنسان لأفراد العدو قدر الإمكان من المدنيين والجنود ويكن هذا الهدفين:

● إن هؤلاء الأفراد لهم نفس الحقوق كأعضاء في المجتمع البشري.

● ولكي تتعلم تلك الشعوب كيفية التعامل مع حقوق الإنسان.

-الإدانة في حفظ تلك الحقوق ووضوح البيانات المتعلقة بتحقيق كلا النوعين من الصلح والسلم الداخلي للشعوب المعتدي عليها والدولي وبهذا تكون أهداف الحرب مفتوحة وواضحة وأن هذا التوضيح يقوم به رجال السياسة.

-يجب أن يكون لهذا التعقل الغائي العملي دور محدود في الحكم على حقانية الحرب وتنظيمها لأن قواعد الحرب تعين حدودا يجب ألا تتجاوز مطلقا (غريب، 2009، صفحة 176).

وهذه هي المهمة الأولى حسب جون رولز لكن الهدف في المدى الطويل هو ان تجتمع كلمة الشعوب جميعا في نهاية الأمر على احترام قانون الشعوب، ولكي يتحقق هذا الهدف حسب جون رولز "لابد لها أن تستخدم ممارسات ومؤسسات جديدة تكون مركزا كونيديرياليا ومنبرا عاما للإعراب عن وجهة نظرها تجاه نظم الحكم غير جيدة التنظيم" (راولز، 2007، صفحة 133)، وهنا يوجه جون رولز الحديث للشعوب جيدة التنظيم حيث يرى أن بلوغ هدفها هذا يكون من خلال انشاء مركز فيدرالي ويقصد به جون رولز ما يشبه هيئة الأمم المتحدة حيث يرى بضرورة انشاء هذه المنابر المشتركة للإعراب عن وجهات نظرها تجاه الشعوب العدوانية لكشف أنماط سلوكياتها الوحشية وكذلك تكشف حالات انتهاك حقوق الإنسان للحد منها والقضاء عليها من خلال الحرب العادلة وفرض العقوبات على هذه الشعوب لكي تعود على أفعالها وتغير من سلوكها، ومن هنا نفهم أن الهدف من الحرب العادلة هو الدفاع عن النفس ورد العدوان والعمل على القضاء عليه ومحالة تغيير سلوكيات الشعوب العدوانية ووجهات نظرها تجاه الشعوب الأخرى ونقلها لأن تكون سمحة وبالتالي تدخل ضمن مجتمع الشعوب.

2 - قاعدة المساعدة: هذا فيما يخص النوع الأول من الشعوب، أما النوع الثاني وهو الشعوب المغلوبة على أمرها والشعوب المثقلة بالمشاكل والظروف الاقتصادية والسياسية المزرية التي تمنعها من أن تكون شعوب جيدة التنظيم فإن جون رولز يرى أن المنهج الذي

يجب أن تتبعه الشعوب جيدة التنظيم تجاه هذه الشعوب المغلوبة علة أمرها هي آلية أو قاعدة المساعدة ،لذا يرى جون رولز أنه على المجتمعات جيدة التنظيم تقديم المساعدات للشعوب المغلوب على أمرها لكي تصبح هذه المجتمعات قادرة على ان تدخل إلى قانون الشعوب (غريب، 2009، صفحة 177)، وتكون جزء من مجتمع الشعوب وبالتالي تتخلص من مشاكلها وظروفها المزرية.

ويرى جون رولز أن الحل الوحيد لكي تخرج الشعوب المغلوبة من حالتها هذه هو المساعدة من طرف الشعوب جيدة التنظيم لذا يؤكد على ضرورة المساعدة حين يقول: "على الشعوب جيدة التنظيم واجب مساعدة المجتمعات المغلوب على أمرها " (راولز، 2007، صفحة 146).

وعن نوع المساعدات التي تقدمها المجتمعات جيدة التنظيم إلى المجتمعات المغلوبة على أمرها يؤكد جون رولز أن تقديم الأموال ليس كافيا لتصحيح المظالم السياسية والاجتماعية رغم ان الأموال تكون في أحوال كثيرة ضرورية ولكن قد ينجح التأكيد على حقوق الإنسان في تغيير حكومات غير فعالة وتغيير سلوك الحكام الذين لا يلقون أدنى اهتمام إلى سعادة شعوبهم (راضي، 2013، صفحة 108).

وهنا يرى جون رولز أن حكام الشعوب المغلوب على أمرها لا يهتمون بحقوق الإنسان ولا يبحثون على تحقيق سعادة شعوبهم لهذا تعاني شعوبهم ظروف كارثية ويربط هذا جون رولز بالمجاعات التي ضربت العديد من الشعوب حيث يرجع جون رولز السبب في حدوث هذا إلى عدم الاهتمام بحقوق الإنسان وعدم تحمل المسؤولية تجاه شعوبهم وتركه يعاني وضرب حقوقه عرض الحائط يقول جون رولز : "الحكومات التي لا تهتم بحقوق الإنسان هي تلك الحكومات التي تقف مكتوفة الأيدي وتترك الشعب يتضور جوعا بينما يمكن لها أن تحول دون ذلك" (راولز، 2007، صفحة 149)، أي أن التأكيد على حقوق الإنسان يمكن أن يكون عاملا مساعدا لمنع حدوث المجاعات وأن يكون كذلك عاملا لزوال نظم الحكم الفاسدة التي لا تهتم بحقوق الإنسان وكذلك المطالبة بها تفسح الطريق لظهور المنظمات الحقوقية التي تساهم أيضا في القضاء على مظاهر انتهاك حقوق الإنسان كما تعرف الشعوب بحقوقها التي يجب أن تتمتع بها وتطالب بها رجال السلطة والحكام وتعمل على جلبها.

ويرى جون رولز أن اعطاء الحقوق للإنسان يخفف من الظروف الاجتماعية القاسية فمثلا يرى أن إعطاء المرأة الحق في التصويت والتعليم وامتلاك الثروات وتسييرها

يساعد على هبوط نسبة ومعدل المواليد وهذا ما حدث في أحد المدن الهندية وهكذا أدى احترام حقوق الإنسان أدى إلى تقليص معدل الولادات دون الرجوع إلى السلطة القهرية للدولة. (راولز، 2007، الصفحات 149-150).

كما يرى جون رولز أنه يجب الابتعاد عن استخدام القوة اتجاه هذه الشعوب لأن استخدام القوة اتجاهها يجعلها ترفض قانون الشعوب وتبتعد عنه ولا تعمل وفق قوانينه ومبادئه وفي هذا يقول جون رولز: "إن استخدام القوة يباعد بينه وبين قانون الشعوب" (راولز، 2007، صفحة 150). ويرى جون رولز أنه يمكن مساعدة هذه الشعوب بنوع من النصح بدلا من القوة ويؤكد جون رولز على ضرورة استخدام النصح محل القوة لمساعدة هذه الشعوب لأن النصح لا يجعل هذه الشعوب تنفر من قانون الشعوب (راولز، 2007، صفحة 150)، هذه المساعدة والمتمثلة في النصح قد تجعل هدف المجتمعات جيدة التنظيم يتحقق.

ومن هنا نصل إلى القول بأن هذه الآليات والقواعد يسعى من خلالها جون رولز إلى تحقيق الهدف الذي ينشده قانون الشعوب وهو جمع الشعوب في مجتمع للشعوب يكون يتسم بالسلام والعدالة والمساواة لهذا نجده يعمل على تغيير وجهة تفكير الشعوب غير المقبولة في قانون الشعوب حيث يضع أمام الشعوب العدوانية آلية الحرب العادلة والعقوبات لكي يغير من وجهة نظرها وتفكيرها ويجعلها تتخلى عن عدوانيتها وتتحول إلى شعوب سمحة لكي تستطيع الدخول في مجتمع الشعوب كذلك نفس الشيء بالنسبة للشعوب المغلوب على أمرها يضع أمامها آلية المساعدة لكي تتخلص من الظروف التي تحيط بها وتدخل في مجتمع الشعوب وكل هذه الآليات والقواعد تعمل على تطبيقها الشعوب المقبولة لكي تجمع معها الشعوب الأخرى .

خاتمة:

ينتقل جون رولز من العدالة في مجال الشعوب الليبرالية إلى العدالة في مجال مجتمع الشعوب العالمية أي من العدالة المحلية إلى العدالة الكونية، ويؤسس جون رولز مجتمع الشعوب على أساس المساواة بين جميع الشعوب الموجودة فيه، حيث يرى أن كل الشعوب لها نفس الحقوق وتطبق عليها جميع نفس المبادئ كما أنه عليها جميعا أن تحترم مبادئ وقوانين قانون الشعوب. ويظهر التجديد في مشروع جون رولز من خلال محاولة توسيع مجتمع الشعوب ليشمل أيضا إلى جانب المجتمعات والشعوب الليبرالية مجتمعات وشعوب غير ليبرالية لكن شرط أن تكون سمحة وحسنة التنظيم أي مقبولة وهنا تظهر

النظرة الكونية لجون راولز والتي يبحث فيها عن جمع جميع الشعوب مهما كانت عقيدتهم وتوجهاتهم وما يؤكد هذا هو افتراضه لشعب كازانستان الإسلامي والذي استقاه من خلال تاريخ الحضارة الإسلامية والذي رأى فيه أنه شعب مقبول في مجتمع الشعوب.

إذا وعليه يمكن القول أن مشروع جون راولز السياسي كفيل بأن يؤدي إلى الوصول إلى العدالة الكونية وبناء مجتمع تجتمع فيه جميع الشعوب تحت قانون واحد يضمن للجميع الحقوق والحريات، ويفرض على الجميع نفس الواجبات دون تمييز ولا محاباة، مجتمع يعامل فيه جميع الأفراد كفرد واحد، وعليه يمكن لمشروع جون راولز أن يصل بشعوب العالم إلى الابتعاد وتجاوز الصدام والصراع والعيش في أمان وسلام دائم، والعيش وفق قيم أخلاقية سامية كالعدالة والمساواة والتعاون والاشتراك في تحقيق أسباب السعادة والرفاهية، كما يضمن مشروع جون راولز أن تعاد لجميع الشعوب حقوقها المسلوقة من خلال تركيزه على حقوق الإنسان التي تنتهك اليوم بكل بساطة وبمراقبة الجميع، لكن لا أحد يحرك ساكنا حتى الجمعيات الحقوقية والمنظمات التي تأسس من أجل هذا الغرض.

المراجع:

- أباه، ا. و. (2014). الدين والسياسة والأخلاق: مباحث فلسفية في السياقين الإسلامي والغربي. بيروت: دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
- المصباحي، أ. (2007). كانط والفلسفة المعاصرة. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- راضي، ع. ص. (2013). الفكر الليبرالي السياسي المعاصر جون رولز أنموذجا، العدد العاشر، 2013، ص. éd. 92 العدد العاشر. (مجلة الفلسفة.
- راولز، ج. (2007). قانون الشعوب. م. خليل (Trad.)، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة.
- رولز، ج. (2009). العدالة كإنصاف. ح. ح. إسماعيل (Trad.)، بيروت: منشورات المنظمة العربية للوحدة.
- رولز، ج. (2011). نظرية في العدالة. ل. الطويل (Trad.)، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
- غريب، ت. ح. (2009). فيلسوف العدالة جون رولز نظرية في العدالة،، 2009 منشورات منتدى اقرأ الثقافي.